

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[285] عبارة (أَفَتَتَّوُّمِنُونَ بِبَيْعِ عَصَى الْكَتَّابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَيْعِ عَصَى)، وسيأتي ذكرها). ثم تذكر الآية إقرار القوم بالميثاق: (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ الْآخِر: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ). ويشير القرآن إلى تعاون بعضهم ضد البعض الآخر. (تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَهِ ثُمَّ وَالْعُدُوانِ). ثم يشير إلى تناقض هؤلاء في مواقفهم، إذ يحاربون بني جلدتهم ويخرجونهم من ديارهم، ثم يقدونهم إن وقعوا في الأسر: (وَإِنْ يَأْتِ تَوْكُومُ أَسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّرٌ مِنْ عَلَيْهِكُمْ إِخْرَاجُهُمْ). فهم يفادونهم استناداً إلى أوامر التوراة، بينما يشردونهم ويقتلونهم خلافاً لما أخذوا عليهم من ميثاق: (أَفَتَتَّوُّمِنُونَ بِبَيْعِ عَصَى الْكَتَّابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَيْعِ عَصَى)؟! ومن الطبيعي أن يكون هذا الانحراف سبباً لانحطاط الإنسان في الدنيا والآخرة: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَلْسِنَةِ الْعَذَابِ). وإنحرافات أئمة من الأمم لابد أن تعود عليها بالنتائج الوخيمة، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أحصاها عليهم بدقة: (وَمَا أَرْغَا فِيلَ عَمَّاسًا تَعْمَلُونَ). الآية الأخيرة تشير إلى تخبط بني إسرائيل وتناقضهم في مواقفهم، والمصير الطبيعي الذي ينتظرهم نتيجة لذلك: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ). * * *